

شواعر (الكتاب)

عبد الحميد عثمان زرموح - جامعة مصراتة - ليبيا
a.zarmouh@art.misuratau.edu.ly

مُلخَص:

تهتم الدراسة بالبحث في شعر المرأة العربية الذي ذكره سيبويه في كتابه، فأهمية هذا الموضوع من ناحيتين: إحداهما؛ أن المصدر كتاب سيبويه، وهو أول كتاب مكتمل موثوق به في علم النحو وصل إلينا، وهو لإمام النحويين البصريين الأضهر. والأخرى؛ أن البحث يستقصى إسهام الشواعر العربيات في إثبات الأحكام النحوية بأبياتهن التي استدل بها سيبويه، فهذا الأمر ليس حكراً على الرجال دون النساء، وإن كانت مشاركة متواضعة أي عشر شواعر- فإني على ثقة بأن كتب النحو الأخرى حبلى بشواهد للمرأة لم يذكرها سيبويه، وهو ما شرعت فيه منذ شهر.ض

مقدمة:

(شواعر) زنتها (فَوَاعِلُ) جمعُ تكسيرٍ قياسيٍّ لـ(شاعرة) بوزن (فَاعِلَةٌ)، ومنه قوله -سبحانه-: "ولا تمسكوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ" الممتحنة/10، قال السيوطي عن (فَوَاعِلُ): "ويطرد جمعاً لـ(فَاعِلٌ) غير وصف ذكر عاقل، بأن كان غير وصف، أو وصف مؤنث أو غير عاقل ثانيه ألف زائدة كـ(حاجز) و(حواجز)... و(ضاربة) و(ضوارب)"¹. ولكتاب سيبويه من الشهرة والفضل ما لا يُنكر، فهو أول كتاب كامل وصل إلينا في النحو، وكان يسمّى (قرآن النحو)²، بل كان أبو عمر الجرمي يفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه طيلة ثلاثين عاماً، ونُقِلَ عن المبرد قوله لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركبت البحر!" تعظيماً له³. وقد لقي (الكتاب) وأبياته اهتماماً كبيراً من النحاة شرحاً وتحقيقاً وتعليقاً واعتراضاً ورداً على تلك الاعتراضات وطباعة⁴. وأبيات الكتاب جزء لا يتجزأ

¹ همع الهوامع 3/322.

² مراتب النحويين 73.

³ ينظر: الكتاب 1/24 من تقديم المحقق، الأعلام 5/252، بغية الوعاة 2/221.

⁴ ينظر: الكتاب 24-62 من تقديم المحقق.

منه، فلها من الأهمية في علم النحو الحظ الأوفر، وقد قال عنها الإمام البغدادي: "ويؤخذ من هذا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته إن صدر من ثقة يُعتمد عليه قيل، وإفلا؛ ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحّ الشواهد، اعتمد عليها خلف بعد سلف، مع أن فيها أبياتاً عديدة جُهل قائلوها، وما عيب بها ناقلوها"⁵.

فهذا العمل يختص بدراسة أبيات المرأة في (كتاب) سيبويه؛ والغرض منه إثبات مشاركة المرأة العربية في التقعيد النحوي، حيث قام قولها حجةً ودليلاً في عدد من القضايا النحوية، والتأكيد على أن هذه المكانة السامية ليست حكرًا على الرجل -كما يُتوهم-؛ لذا قمت بحصر هذه الأبيات وأسماء قائلاتها، غير أنني لم أجدها كلها منسوبة إليهن في متن (الكتاب)، بل في هوامش التحقيق.

أولاً: شواعرُ ذِكرن في متن (الكتاب)

1) الخرنق

هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك، أخت طرفة بن العبد لأمه، من بني سعد بن ضبيعة رهط الأعشى، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، أكثر شعرها في رثاء أخيها طرفة أحد أصحاب المعلقات المشهورة، وكذا زوجها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بني أسد ومن قُتل معه، لها ديوان شعر، ماتت نحو عام 50ق. هـ. الموافق 574م⁶. شاهدها في (الكتاب) هو قولها:

لا يبعدن قومي الذين هم * سَم العُداة وآفة الجُزُر

النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الأزر⁷

فقد ذكر سيبويه البيتين في ثلاثة مواضع، أحدها: "باب الصفة المشبهة فيما عملت فيه"، وقال: "واعلم أنه ليس في العربية مضاف يدخل عليه الألف واللام

⁵ خزنة الأدب 16/1. لذلك جعلتُ البحث قسامين: أولهما خصصته للأبيات المنسوبة في متن الكتاب -بغض النظر عن نسبها كما هو معلوم-، وأفردت القسم الآخر للأبيات التي نُسبت في التحقيق. ثم ختمت البحث بخاتمة قصيرة وفهرس للمصادر والمراجع وفهرس للمحتويات. والله أسأل التوفيق خدمة للعربية التي زكاها ربها في كتابه الحكيم بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ. أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَلْعَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء/192-195.

⁶ ينظر: الأعلام 347/2، أعلام النساء 348/1.

⁷ ديوانها (بتحقيق نصار) 29، (تحقيق يسري) 42-43، سمط اللآلي 548/1، شرح أبيات سيبويه للنحاس 116-115 (الشاهد 376) هـ، 4، وللسيرافي (تحقيق الرِّيح) 27/2-28، المقاصد الشافية 353/1.

غير المضاف إلى المعرفة في هذا الباب، وذلك قولك: هذا الحسنُ الوجهِ... فإذا تثبتت أو جمعت فاثبتت النون فليس إلا النصب، وذلك قولهم: هم الطيبون الأخيار وهما الحسنان الوجوة، ومن ذلك قوله -تعالى-: "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً"، وقالت خرنق: لا يبعذن قومي.. فإن كفتت النون جررت، كان المعمول فيه نكرة أو فيه ألف ولام، كما قلت: هؤلاء الضاربو زيد⁸. وذكره -أيضاً- في باب "ما ينصب فيه الاسم لأنه لا سبيل له إلى أن يكون صفة"، وقال: "وتقول: (اصنع ما سر أخاك وأحب أبوك الرجلان الصالحان) على الابتداء، وتنصبه على المدح والتعظيم كقول الخرنق: لا يبعذن... النازلين... والطيبون"⁹.

وذكره في باب ثالث هو "ما ينتصب على التعظيم والمدح" فقال: "وسمعنا بعض العرب يقول: (الحمد لله رب العالمين)، فسألت عنه يونس فزعم أنها عربية، ومثل ذلك قول الله -عز وجل-: "لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة"، فلو كان كله رفعاً كان جيداً، فأما "المؤتون" فمحمول على الابتداء. وقال -جل ثناؤه-: "ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس"، ولو رفع "الصابرين" على أول الكلام كان جيداً، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأت في قوله "والمؤتون الزكاة"، ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق: لا يبعذن... النازلين... والطيبون، فرفع "الطيبين" كرفع "المؤتين"¹⁰.

ويستدل به على "أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو كما يجوز قطع النكرة بها، فقولها: والطيبون نعت مقطوع بالواو من قومي للمدح والتعظيم بجعله خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الطيبون، وإنما حُكِمَ بالقطع مع أنه مرفوع كالمنعوت وهو قومي لقطع النازلين قبله لما ذكرنا أيضاً -بجعله منصوباً بفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح ونحوهما، والعرب إذا رجعت عن شيء لم تعد إليه"¹¹. وجاء في (أوضح المسالك): "وإذا تكررت النعوت لواحد فإن تعيّن مسماه بدونها جاز إتباعها وقطعها والجمع بينهما، بشرط تقدم المتبع، وذلك كقول خرنق:.... النازلون... والطيبون"¹².

⁸ الكتاب 1-194/202، والنص القرآني من سورة الكهف/99.

⁹ السابق 2-57/58.

¹⁰ الكتاب 2-62/64، والنصان الكریمان من سورتي النساء/162، والبقرة/177.

¹¹ خزنة الأدب 5/41، وينظر: لسان العرب (نصر)، شرح أبيات سيبويه للنحاس، 116.

¹² 314/3.

أي أن المنعوت إذا تعددت نعوته له حالان: إحداهما أن يكون مفتقراً إليها جميعاً، وليست مرادة هنا، والحال الأخرى هي "أن يكون المنعوت غير مفتقر في معرفته إلى شيء من تلك النعوت - وهو معنى كونه معيناً بدون النعوت، أي معروفاً مثل ذكرها- فلك فيه ثلاثة أوجه كلها جائز... أحدها: قطعها كلها إلى الرفع فنقول: مررت بزيد الفاضل الصالح العالم، أو إلى النصب فنقول: مررت بزيد الفاضل الصالح العالم، ومنه قول الخرنق أنشدته سيبويه: لا يبعدن... النازلين والطيبين، ويُنشد هكذا: النازلون والطيبون، برفع الجميع"¹³. وعلل السيرافي النصب بأن "الاسم الذي قبله مرفوع فاعل (يبعدا)"¹⁴.

وفرق النحاة بين الإتياع قبل القطع وبعده، وفي (التصريح) تجد التوضيح حيث قال: "والإتياع بعد القطع لا يجوز لما فيه من الفصل بين النعت والمنعوت بجملة أجنبية، ولما فيه من الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، أو لما فيه من القصور بعد الكمال؛ لأن القطع أبلغ في المعنى من الإتياع"¹⁵، وجعلوه هو المدح الصحيح والمذهب المستحسن¹⁶. وزاده صاحب (الهمع) إيضاحاً فقال: "وإن كثرت نعوت معلوم لا يحتاج إليها في التمييز أو مُنزل منزلة تعظيماً أو غيره أتبعته كلها أو قطعت أو قطع بعضها وأتبع بعض، بشرط تقديم المتبوع في الأصح؛ لأنه الثابت عن العرب، لنلا يفصل بين النعت والمنعوت، وقيل: لا يشترط، بل يجوز الإتياع بعد القطع؛ لأنه عارضٌ لفظي فلا حكم له، وقد قال تعالى:- "والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة"، وقالت الخرنق: لا يبعدن قومي..."¹⁷. وقال ابن جني: "وكلما زاد الإسهاب في الثناء أو الذم كان أبلغ فيهما، ألا ترى إلى قول خرنق: لا يبعدن"¹⁸. والعرب - كما في (الإنصاف) - "تنصب على المدح عند تكرر العطف والوصف"، ثم استدلت بقول الخرنق الذي معنا قائلًا: "فنصبت الطيبين على المدح، فكأنها قالت: أعني الطيبين"¹⁹. أي أن (النازلين) و(الطيبين) يجوز فيهما الرفع والنصب، فالرفع "على الإتياع لـ(قومي)، أو على القطع بإضمار (هم)، ونصبهما بإضمار (أمدح) أو (أذكر)، ورفع الأول ونصب الثاني"²⁰.

¹³ المقاصد الشافية 669/4-671، وينظر: 671/4-685، أساس البلاغة 25 (أزر).

¹⁴ شرح أبيات سيبويه (بتحقيق الرّيح) 27/2، (بتحقيق سلطاني) 15/2-16.

¹⁵ 124-123/2.

¹⁶ ينظر: سمط اللآلي 548/1.

¹⁷ 126-125/1.

¹⁸ المحتسب 198/2.

¹⁹ 384-383/2.

²⁰ أوضح المسالك 316/3.

(2) الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، صحابية - رضي الله عنها -، قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع قومها من بني سُلَيْمٍ وأسلمت معهم، يقال لها الخنساء وخناس، والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، يقال: هو أخنس، وهي خنساء، والجمع خُنُسٌ، وهي أشهر شواعر العرب وأشعرهن، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، أدركت الجاهلية والإسلام، قيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء، توفيت عام 24هـ. الموافق 645م²¹. ووجدت لها في (الكتاب) قولها:

ترتع ما رعت حتى إذا أدكرت .. فإنما هي إقبال وإدبار²².

ذكره سيبويه في باب: "ما ينتصب فيه المصدر، كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه، على إضمار الفعل المتروك إظهاره؛ لأنه يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظ بالفعل، كما كان (الحذر) بدلاً من (احذر) في الأمر"²³، واختصره السيرافي بأنه "المنصوبات بعد ذكر مصادر تنصب بإضمار الفعل"²⁴.

قال سيبويه: "وذلك قولك: ما أنت إلا سيراً، وإلا سيراً سيراً... وإن شئت رفعت هذا كله، فجعلت الآخر هو الأول، فجاز على سعة الكلام، من ذلك قول الخنساء: ترتع .. فجعلها الإقبال والإدبار، فجاز على سعة الكلام كقولك: نهارك صائم وليلك قائم"²⁵. وشرح السيرافي المسألة بقوله: "ومثال الذي ذكر قولك: زيدٌ أكلٌ وعمرو شربٌ، لكثرة أكله كأنه هو أكلٌ، ويقال فيه -أيضاً-: إن فيه حذفاً، وكأنه قال: زيد ذو أكلٍ وذو شربٍ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه"²⁶، فكانها قالت: ذات إقبال وإدبار²⁷.

²¹ ينظر: الشعر والشعراء 218، 220، الأعلام 69/2، أعلام النساء 305/1، 360، خزانة الأدب 434/1، تاج العروس (خنس).

²² ينظر: ديوانها (بشرح طماس) 46، (بشرح سويلم) 383، معجم شعراء الحماسة 39، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (بتحقيق الرِّيِّح) 294/1، المقاصد الشافية 642/4، 646، الشعر والشعراء 348/1.

²³ الكتاب 337-335/1.

²⁴ شرح أبيات سيبويه (بتحقيق الرِّيِّح) 294/1.

²⁵ الكتاب 337-335/1.

²⁶ شرح أبيات سيبويه (بتحقيق الرِّيِّح) 294/1.

²⁷ شرح التصريح على التوضيح 505/1.

فالشاهد فيه هو الإخبار بالمصدر عن الذات مجازاً²⁸؛ لأن "المعنى لا يُخبر به عن العين إلا مجازاً"²⁹، أي أن "اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هي، هذا من قبيل: زيدٌ عدلٌ"، وله ثلاثة توجيهات هي: على المجاز بحسب الظاهر، وبمعنى اسم فاعل، وعلى تقدير مضاف محذوف، أي: ذات إقبال وإدبار³⁰، بمعنى مُقبلة ومدبرة³¹.

ووجدت هذه التوجيهات محل اتفاق بين العلماء، فقد جاء في (اللسان) قوله: "فأيقظنا ونحن ارتهاط، أي: فرّق مرتهطون، وهو مصدر أقامه مقام الفعل كقول الخنساء: فإنما هي إقبال وإدبار"³². وفي (المحتسب): "وإن شئت جعلته إياه على المبالغة، كقولها: فإنما هي إقبال وإدبار، على غير حذف المضاف"³³. وقال ابن يعيش في مبحث المفعول المطلق: "واعلم أنك إذا رفعتَ كان على وجهين: أحدهما: أن يكون على حذف مضاف وهو (صاحب) - على ما تقدم -، والثاني: أن تجعله نفس السير والقتل لما كثر ذلك منه توسعاً ومجازاً، كما يقال: رجل عدلٌ ورضيٌّ، إذا كثر عدله والرضى عنه، كما يقال: ترتع... جعلها نفس الإقبال والإدبار مبالغةً وتوسعاً"³⁴.

(3) دُرنا

هي درنا بنت ععبدة من بني قيس بن ثعلبة، شاعرة³⁵. وفي الكتاب: "هذا بابٌ جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى"، وفيه: "وذلك قولك: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار، وتقول على هذا الحد: سرقتُ الليلةَ أهلَ الدار، فتجري الليلة على الفعل في سعة الكلام... ولا يجوز: يا سارقَ الليلةَ أهلَ الدار إلا في الشعر؛ كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور... فهذا قبيح، ويجوز في الشعر على هذا: مررت بخيرٍ وأفضلٍ منَ ثَم، قالت دُرنا بنت ععبدة من بني قيس بن ثعلبة:

هما أخوا في الحرب من لا أخاله * إذا خاف يوماً نبوة فدعاهما"³⁶.

²⁸ ينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي (بتحقيق الرّيح) 294/1، الكتاب 337/1 هـ-1.

²⁹ شرح التصريح على التوضيح 505/1.

³⁰ خزنة الأدب 431/1، وينظر: المقاصد الشافية 246-245/3.

³¹ كتاب شرح أبيات سيبويه للنحاس 56.

³² لسان العرب (رهط)، وينظر: المقتضب 305/4.

³³ 43/2.

³⁴ شرح المفصل 115/1.

³⁵ ينظر: أعلام النساء 411/1، معجم شعراء الحماسة 65.

³⁶ 180-175/1، المقاصد الشافية 187/4.

وفي الهامش: "والشاهد فيه الفصل بالجار والمجرور وهو (في الحرب) بين المضاف والمضاف إليه"³⁷. وعقب السيرافي على كلام سيبويه بقوله: "والذي وجدته: وقالت دُرنا بنت سيار: هما أخوا...، الشاهد فيه أنها فصلت بين (أخوا) وبين (مَن) بقولها: (في الحرب)، والأصل: هما في الحرب أخوا من لا أخاله، ترثي بذلك أخويها"³⁸. وذكر صاحب (اللسان) أنها: "بنت شيار" بالشين المعجمة، واسماً آخر هو (عمرة الخثيمية)³⁹. وفي (الإنصاف) أن هذه المسألة خلافية بين المصريين، "أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن العرب قد استعملته كثيراً في أشعارها"، وأما البصريون فلم يمنعهم هذا الشاهد ولا غيره من التمسك بقولهم بالمنع؛ "لأن الظرف وحرف الجر يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما، فبقينا فيما سواهما على مقتضى الأصل"⁴⁰.

والأصل في المتضايقين الاتصال لا الانفصال؛ لأن كلاً منهما يكمل الآخر، قال ابن يعيش: "الفصل بين المضاف والمضاف إليه قبيح؛ لأنهما كالشيء الواحد، فالمضاف إليه من تمام المضاف، يقوم مقام التنوين ويعاقبه، فكما لا يحسن الفصل بين التنوين والمنون كذلك لا يحسن الفصل بينهما، وقد فصل بينهما بالظرف في الشعر ضرورة"⁴¹. وكان شاهدنا مما استدل به على هذا الفصل فقال: "ومما جاء الفصل فيه -أيضاً- قول درنا بنت ععبعة من بني قيس بن ثعلبة: هما أخوا... الشاهد فيه إضافة الأخوين إلى "مَن" مع الفصل بالجار والمجرور"⁴². والفصل بهما ضرورة لأنهما أجنبيان⁴³؛ لذلك جاء في (المقاصد): "الإضافة شاهد على الفصل بين المتضايقين بأجنبي، وهو هنا الجار ومجروره، والأصل: هما أخوا من لا أخاله في الحرب"⁴⁴. وكثير من العلماء ينسبون البيت إلى عمرة الخثيمية ترثي ابنيها⁴⁵.

³⁷ الكتاب 180/1 هـ.2. وينظر: شرح حماسة أبي تمام للشنتمري 573، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 759/2.

³⁸ شرح أبيات سيبويه (بتحقيق الرّيح) 264/1.

³⁹ ينظر: لسان العرب (أبي).

⁴⁰ 349/2، 355.

⁴¹ شرح المفصل 19/3-20.

⁴² السابق 21/3.

⁴³ ينظر: همع الهوامع 432/2-433.

⁴⁴ 187/4.

⁴⁵ هذا ما وجدته في الهامش 2 من تحقيق الكتاب 180/1، وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقي نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون 1082، وكذلك في شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري 573، وفي شرح المرزوقي بتعليق غريد الشيخ هـ2 ص758، وفي الشرح المنسوب لأبي العلاء

(4) صفة

هي صفة بنت عبد المطلب، عمّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكانت شاعرة من شواعر العرب المُجيدات في الرثاء وغيره، شجاعة، ووصف (الصفى) في الناقة يراد به غزيرة اللبن، ماتت في المدينة في خلافة عمر -رضي الله عنهما- عام 20 هـ الموافق 641م⁴⁶. لها رجز في الكتاب هو:

كيف رأيت زَبْرًا * أقطاً أو تمرًا
أم قرشياً صقراً

قال سيويوه: "هذا باب آخر من أبواب (أو)... وتقول: أزيداً أو عمراً رأيت أم بشرأ؟، وذلك أنك لم ترد أن تجعل عمراً عديلاً لزيد حتى يصير بمنزلة أيهما، ولكنك أردت أن يكون حشواً، فكأنك قلت: أحد هذين رأيت أم بشرأ؟، ومثل ذلك قول صفة بنت عبد المطلب: كيف رأيت زَبْرًا أقطاً أو تمرًا أم قرشياً صقراً"⁴⁷. ثم أعقب ذلك بتوضيح مفهوم المعادلة، وهي مقابلة شيء بآخر، وهما ما قبل الهمزة وما بعد (أم)، لا ما قبل (أو) وما بعدها، فقال: "وذلك أنها لم ترد أن تجعل التمر عديلاً للأقط؛ لأن المسؤول عندها لم يكن عندها ممن قال: هو إما تمر وإما أقط وإما قرشي، ولكنها قالت: أهو طعام أم قرشي؟ فكأنها قالت: أشيئاً من هذين الشيين رأيت أم قرشياً؟"⁴⁸. فالشاهد فيه هو معادلة (أم) لهمزة الاستفهام، ومجيء (أو) بينهما معترضة⁴⁹.

وضرب صاحب (المقتضب) مثلاً آخر للمعادلة فقال: "وتقول: ما أدري أزيداً أو عمراً ضربت أم خالداً، لم ترد أن تعدل بين زيد وعمرو، ولكنك جعلتهما عدلاً لخالد في التقدير، والمعنى: ما أدري أحد هذين ضربت أم خالداً. وتقول: قد علمت أربعي أو مضري أنت أم تميمي؟، كأنه قال: قد علمت أمن أحد هذين الشعبين أنت أم تميمي؟، وعلى هذا يُنشَد قول صفة بنت عبد المطلب: كيف رأيت زبراً... لم تُرد أن تجعل الأقط عدلاً للتمر فتقول: أهدا أم هذا، ولكن أردت: أطعاماً رأيت أم قرشياً، لا يصلح في المعنى إلا هذا"⁵⁰.

المعري هـ1 ص656. ونسبت لدرماء بنت سيار بن عبيدة الجحدرية ترثي أخوين في تحقيق غريد الشيخ، وكذلك الشرح المنسوب للمعري في الموضوعين المذكورين قبل قليل.

⁴⁶ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (باب الكنى) 339/4-340 رقم 654، سمط اللآلي 118/1، المبهج 56، معجم شعراء الحماسة 60.

⁴⁷ الكتاب 182-179/3.

⁴⁸ السابق نفسه.

⁴⁹ السابق 182/3 هـ1.

⁵⁰ 304-303/3.

وتجد في (الأزهيّة) بياناً لكيفية الجواب على مثل هذا السؤال والحكمة منه، ثم تنظيراً بشاهدنا حين تقرأ: "لو قلت: أزيد أو عمرو أفضل أم بكر؟ جاز؛ لأن المعنى: أحد هذين أفضل أم بكر؟ وجواب هذا أن تقول: بكر، إن كان هو الأفضل، أو تقول: أحدهما -بهذا اللفظ-، من غير أن تذكر زيدا أو عمراً؛ لأنك إنما تسأل: أحدهما أفضل أم بكر، وإنما أدخلت "أو" بين زيد وعمرو دون "أم" لأنك لم ترد أن تعادل بينهما، وأن تجعل عمراً عديلاً لزيد، وإنما أردت أن تجعلهما بمنزلة اسم واحد تعادل بينهما وبين بكر بـ"أم"، كأنك قلت: أحدهما أفضل أم بكر؟، ومثله قول صفية بنت عبد المطلب: كيف رأيت زبراً...⁵¹.

(5) ليلي

هي ليلي بنت عبد الله الرحال الأخيلية، صاحبة توبة بن الحمير، كانت أشهر الشواعر في الإسلام، لا يُقدّم عليها إلا الخنساء، هاجت النابغة الجعدي -وهو شاعر مقدم- فغلبته، كانت تلتله بهراء -وهي كسر حرف المضارعة- لغتها، ولها في ذلك قصة مع الشعبي في حضرة عبد الملك بن مروان، توفيت زمن الحجاج وهي في طريقها إلى قتيبة بن مسلم والي خراسان، رحمها الله، واسم ليلي علم مرتجل⁵². وجدت لها في (الكتاب) ثلاثة أبيات، أحدها قولها في وصف قطعة تطعم صغارها⁵³:

تدلّت إلى حص الرؤوس كأنها * كرات غلام من كساء مؤرنب
ذكره سيبويه في باب عنوانه: "هذا باب لحاق الزيادة بنات الثلاثة من الفعل"⁵⁴. فالمعهود في العربية بقاء الحرف الزائد في الفعل المزيد مثل: تكلمت وتسامحنا، ولكن العرب خالفت هذا النهج مع حروف المضارعة، حيث حذفوها إلا عند الضرورة كما وقع لليلى الأخيلية في بيتها المذكور، قال سيبويه: "وزعم الخليل أنه كان القياس أن تثبت الهمزة في يُفَعِّلُ ويُفَعِّلُ وأخواتهما كما تثبت التاء في تَفَعَّلْتُ وَتَفَاعَلْتُ في كل حال، ولكنهم حذفوا الهمزة في باب أفعل من هذا الموضع، فاطرد الحذف فيه؛ لأن الهمزة تثقل عليهم كما وصفت لك، وكثر هذا في كلامهم، فحذفوه واجتمعوا على حذفه كما اجتمعوا على حذف (كل) و(تري)... وقد جاء في الشعر حيث اضطر الشاعر... وقالت ليلي الأخيلية: كرات غلام من كساء مؤرنب"⁵⁵.

⁵¹ كتاب الأزهيّة في علم الحروف 136.

⁵² ينظر: معجم شعراء الحماسة 109، المبهج 78، خزنة الأدب 171/3، 466/11.

⁵³ ينظر: ديوانها 27.

⁵⁴ الكتاب 280-279/4.

⁵⁵ الكتاب 280-279/4، يريد حذف الهمزة في (كُنْ) و(تري)، إذا الأصل فيهما: (أَكُنْ) (تَرَأَى).

ووجه الاستدلال به هو أن همزة (أرنب) زائدة، فهي على وزن (أَفْعَل)، و(مؤرنب) في البيت على وزن (مُؤَفَّل)، ويوصف قوله هذا بأنه (الصحيح)، أما غير سيبويه فيرون أن هذه الهمزة أصلية، فهي على وزن (فَعَّل)، وأن وزن (مؤرنب) هو (مُفَعَّل)⁵⁶. وفي تحقيق (الكتاب): "والشاهد في قوله: (مؤرنب) مُؤَفَّل من الأرنب... وغيره يزعم أن وزنها -أي أرنب-: فَعَّل، وأن همزتها أصلية، ويحتج بهذا البيت، والصحيح قول سيبويه لما يعضده من القياس في كثرة زيادة الهمزة في هذا المثال، ولقول العرب: كساء مرنباني، إذا عُمِل من أوبار الأرنب، ف(مؤرنب) بمنزلة (مرنباني) ولا همزة فيه، فهزمة (مؤرنب) زائدة"⁵⁷. ففي البيت إعلال بالحذف، وهو غير مطرد، ولكنه على الأصل، فقد جاء في بيت الألفية⁵⁸:

وحذف همز (أَفْعَل) استمر في * مضارع وبنيي مُتَّصِفِ

قال أحد الشراح: "يعني أن حذف همزة (أَفْعَل) مطرد إذا بُني منه الفعل المضارع، والبناء ان اللذان للوصف وهما: (مُفَعَّل) للفاعل، و(مُفَعَّل) للمفعول... وقد شد من هذا شيء فجاء على الأصل... وقالت ليلي الأخيلية تدلت... أي: مُتَّخِذ من جلود الأرنب"⁵⁹. فالمستعمل في مثل هذه الكلمات هو حذف الهمزة الزائدة، وهي أولى بالحذف من الهمزة الأصلية في الأمر من مثل: (أخذ) و(أكل) و(أمر) وغيرها، فيقال: مُكْرَم لا مُؤَكْرَم، ومُفْهَم لا مُؤَفْهَم، ومُرْنَب لا مُؤَرْنَب وهكذا... جاء في (المنصف): "وإذا كانوا قد حذفوا الهمزة الأصلية المفردة في نحو (خُذ) و(كُل) فهم بأن يحذفوا الزائدة -إذا كانت معها أخرى زائدة- أجدر"⁶⁰. والمراد بالهمزتين الزائدتين همزة المضارعة للمتكلم، وعليها حُمِلت أحرف المضارعة الأخرى، أعني: النون والياء والتاء، والهمزة الزائدة الأخرى هي التي قبل الفاء، فالأصل في مثل: (أنا أكرم ضيفي) هو: أكرم، قال ابن جني: "وقد جاء مثل يُؤَفَّل، أنشدوا: فإنه أهل لأن يُؤَكْرَمًا فجاء به على الأصل ضرورة، وقالت ليلي الأخيلية تصف قطاً: تدلت... أي: مُتَّخِذ من جلود الأرنب، فقولها: (مؤرنب) على حد قوله (يؤرنب)، ومثاله: مُؤَفَّل، وهو ك: يُؤَكْرَم"⁶¹.

⁵⁶ السابق نفسه.

⁵⁷ السابق نفسه هـ2.

⁵⁸ شرح ابن عقيل 583/2.

⁵⁹ المقاصد الشافية 410-407/9.

⁶⁰ 192/1.

⁶¹ السابق نفسه.

ومعنى مُؤرَنْبٍ ومُرَنْبٍ: "خُلِطَ في غزله وَبَرُّ الأرنب" ⁶²، وفي البيت تشبيهه فراخ القطاة الصغيرة بـ(كُرَات)، "وهي جمع كرة، معمولة من كساء مشبهة بجلد الأرنب" ⁶³. وبيتها الثاني قولها:

تُساوِرُ سَوَّاراً إلى المجد والعلا * وفي ذمتي لئن فعلت ليفعلا
قال سيبويه: "هذا باب النون الثقيلة والخفيفة"، وفيه: "اعلم أن كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أن كل شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة... وقالت ليلى الأخيلية:

تساور سواراً إلى المجد والعلا * وفي ذمتي لئن فعلت ليفعلا
... فهذه الخفيفة خفتت كما تثقل إذا قلت: لأثأرنَّ" ⁶⁴. وفي تحقيقه أن الشاهد في (ليفعلا) "بالنون الخفيفة المبدلة ألفاً" ⁶⁵. وأوضحه السيرافي بقوله: "إدخال النون الخفيفة في جواب القسم وهو قوله: ليفعلا" ⁶⁶، وقال البغدادي: "وهذا البيت أورده سيبويه في كتابه على أن الألف في (ليفعلا) أصلها نون التوكيد الخفيفة فُلِبِتْ ألفاً" ⁶⁷. وأظهره صاحب (الشعر والشعراء) على أصله فقال: "أي: ليفعلن" ⁶⁸، و(سَوَّار): هو زوجها سوار بن أوفى القشيري ⁶⁹. والثالث في (الكتاب) -وهو بيتها الأخير هنا- قولها:

لا تقربنَّ الدهر آل مطرّفٍ * إن ظالماً أبداً وإن مظلوماً ⁷⁰
ذكره سيبويه في باب "ما يُضْمَرُ فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف"، وقال فيه: "وذلك قولك: (الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر)، و(المرء مقتول بما قُتِلَ به إن خنجراً فخنجر وإن سيفاً فسيف)، وإن شئت أظهرت الفعل فقلت: (إن كان خنجراً فخنجر وإن كان شراً فشر)... وإذا أضمرت فأن تضمر الناصب أحسن؛ لأنك إذا أضمرت الرافع أضمرت له -أيضا- خبراً أو شيئاً

⁶² لسان العرب (رنب).

⁶³ شرح أبيات سيبويه للسيرافي (بتحقيق الرّيح) 286-285/2.

⁶⁴ الكتاب 512-508/3، وينظر: ديوانها 71.

⁶⁵ الكتاب 512/3 هـ 4.

⁶⁶ شرح أبيات سيبويه (تحقيق سلطاني) 315/2.

⁶⁷ خزانة الأدب 245/6.

⁶⁸ ينظر: الشعر والشعراء (بتحقيق شاكر) 448/1، (بتحقيق تميم) 218.

⁶⁹ ينظر: الكتاب 512/3.

⁷⁰ ديوانها 101، وفيه: لا تغزوّن، لا ظالماً، ولا مظلوماً، وينظر: صلة الديوان (أو ما ينسب إليها وإلى غيرها) في آخر الديوان.

يكون في موضع خبره، وكلما كثر الإضمار كان أضعف... ومثل ذلك: قد مررت
برجل إن طويلاً وإن قصيراً... لا يكون في هذا إلا النصب؛ لأنه لا يجوز أن تحمل
الطويل والقصير على غير الأول... وقالت ليلي الأخيلية: لا تقربين...⁷¹ قلت:
ليس المحذوف (كان) وحدها، بل هي واسمها معاً، فالتقدير: إن كان هو -أي:
العمل- خيراً... وإن كان هو -أي: ما قُتِلَ به- خنجراً، ففي الألفية:

ويحذفونها وييقون الخبرُ .: وبعد (إن) و(لو) كثيراً إذا اشتهر

وقال ابن عقيل في شرحه عليها: "تُحذف (كان) مع اسمها ويبقى خبرها كثيراً
بعد (إن)... وبعد (لو)..."⁷² فالشاهد فيه إضمار فعل الشرط (كان) الناقصة واسمها
بعد (إن) الشرطية، وانصب (ظالماً) خبراً له، والتقدير: إن كنت ظالماً وإن كنت
مظلوماً⁷³. وقال السيوطي: "تختص (كان) -أيضاً- من بين سائر أخواتها بأنها قد
تعمل محذوفة، ولذلك أقسام، الأول: ما يجوز بكثرة، وذلك بعد (إن) و(لو)
الشرطيتين، فتحذف هي واسمها إذا كان ضمير ما عُلِمَ من غائب أو حاضر"، ثم
مثل لضمير المخاطب بهذا البيت⁷⁴. وذكر صاحب (المقاصد): "أن العرب من
شأنهم أن يحذفوا (كان) مع اسمها لا وحدها ويبقون الخبر دالاً عليها كقولك:
(المرء مجزيٌّ إن خيراً فخير وإن شراً فشر)، و(المرء مقتول بما قُتِلَ به إن سيفاً
فسيف وإن خنجراً فخنجر)، تقديره: إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير، وإن كان شراً
فجزاؤه شر، وكذلك إن كان ما قتل به سيفاً فالمقتول به سيف، وإن كان خنجراً فهو
خنجر... وأنشد -أيضاً- لليلي الأخيلية: لا تقربين..."⁷⁵ وروايتها في (الحماسة): "لا
تغزؤون" و"لا ظالماً"⁷⁶. وفضل البكري رواية (لا) على رواية (إن) لسببين فقال:
"وهذه الرواية هي الرواية الجيدة لوجهين: أحدهما: أنها أفادت معنى حسناً؛ لأنه قد
يكون ظالماً أو مظلوماً من غيرهم، فيستجير بهم لرد ظلامته أو لاستدفاع مكروه
عقوبته، فلا بد لهم من إجارته، والوجه الثاني: أن قوله (لا تقربين الدهر) قد أغنى
عن قوله (أبداً)، فصار حشواً لا يفيد معنى"⁷⁷. وعلّة النهي عن قربهم هي أنهم "لا
يزال فيهم من يكون ظالماً أو مظلوماً"⁷⁸.

⁷¹ الكتاب 261-258/1.

⁷² شرح ابن عقيل 295-293/1.

⁷³ ينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي (تحقيق سلطاني) 326-325/1.

⁷⁴ همع الهوامع 383-382/1.

⁷⁵ المقاصد الشافية 203-202/2.

⁷⁶ ينظر: شرح المرزوقي ص 1608-1609 (حماسية 699)، شرح الأعم الشنتمري 931.

⁷⁷ سيمط اللآلي 562-561/1.

⁷⁸ كتاب شرح أبيات سيبويه للنجاشي 89.

ثانياً: شواعر دُكرن في هامش (الكتاب) 1) بنت مرة

هي بنت مرة بن عاهان أبي الحصين الحارثي، من قبائل اليمن، وعاهان جاهلي قديم، يقال له هاعان -أيضاً-⁷⁹. بيتها في (الكتاب) هو قولها:
من يُتفقن منهم فليس بأبيبٍ .: أبداً وقتل بني قتيبة شافي
وموضعه فيه هو "باب النون الثقيلة والخفيفة"⁸⁰، وقال سيبويه عن الاستدلال به: "وقد تدخل النون بغير (ما) في الجزاء، وذلك قليل في الشعر، شَبَّهوه بالنهاي حين كان مجزوماً غير واجب، وقال: من يتفقن... شَبَّهه بالجزاء حيث كان مجزوماً وكان غير واجب، وهذا لا يجوز إلا في اضطرار، وهي في الجزاء أقوى"⁸¹.
ووصفه المبرد في غير الشعر بالقبح فقال: "فإن كان الجزاء بغير (ما) قبح دخولها فيه؛ لأنه خبر يجب أخره بوجوب أوله، وإنما يجوز دخولها الجزاء بغير (ما) في الشعر للضرورة، كما يجوز ذلك في الخبر، فمن ذلك قوله: من يتفقن... فهذا يجوز"⁸². وفي (المقاصد الشافية) ذُكرُ المواضع التي لحاق النون فيها قليل وهي أربعة، آخرها: "أن يقع بعد غير (إما) من الأدوات الشرطية"، ومثّل لهذا الموضع بقوله: "فاذا قلت: إن تقومن أكرمك، ومهما تطلبن أعطك، ومتى تأتيني أكرمك، وحيثما تكونن أذهب إليك، وكذلك سائرها فهو جائز، لكنه قليل، وأنشد سيبويه: من يتفقن... والعلة كونه غير واجب"⁸³. وذكر ابن عصفور هذا البيت مثلاً على لحاق نوني التوكيد الفعل المضارع غير المسبوق ب(ما) فقال: "وقد تلحقان -أيضاً- في الشعر الفعل في الجزاء بغير (ما)، والفعل المنفي ب(لم)، والواجب، نحو قوله: من يتفقن..."⁸⁴، ومثله الأشموني⁸⁵، والعيني⁸⁶، وابن عقيل حيث أوضحه محققه بقوله: "الشاهد فيه قوله: (من يتفقن) حيث أكد الفعل المضارع الواقع بعد أداة الشرط من غير أن تتقدم على المضارع (ما) الزائدة المؤكدة لـ(إن) الشرطية، وهذا التوكيد ضرورة من ضرورات الشعر عند سيبويه"⁸⁷.

⁷⁹ ينظر: خزانة الأدب 399-403، ولم أجد لها ترجمة في كتب التراجم التي لدي..

⁸⁰ 508/3، وينظر: همع الهوامع 401/4، المقتضب 15/3 (بقية 2 ص14)، المقرب 74/2.

⁸¹ الكتاب 516-515/3.

⁸² المقتضب 15-14/3.

⁸³ المقاصد الشافية 550-546/5.

⁸⁴ المقرب 74-73/2.

⁸⁵ حاشية الصبان على شرح الأشموني 325/3.

⁸⁶ السابق نفسه.

⁸⁷ 312/2 في آخر تخريجه للشاهد 318.

وهذا البيت هو الشاهد (947) عند البغدادي⁸⁸، ومن اعتناء الشيخ عزيمة بكتاب سيبويه وأبياته خرَّجه في تحقيقه لمقتضب المبرد فقال: "استشهد به سيبويه على توكيد فعل الشرط في الضرورة؛ لأن أداة الشرط ليس معها (ما)"⁸⁹. قالت بنت مرة مع بيتين آخرين في رثاء أبيها حين قتلتها باهلة، فهذا محقق شرح ابن عقيل يقول: "هذا صدر بيت لبنت مرة بن عاهان أبي الحصين الحارثي، والبيت بكماله من أبيات ترثي بها أباه"⁹⁰. ولعل السيرافي أطلع على نسخة أخرى من (الكتاب) غير التي بين أيدينا الآن فذكر أن سيبويه نسيه فقال: "قال سيبويه في النون الخفيفة: قالت بنت أبي الحصين من مَدْح: ... من يتفقن... قالت هذه الأبيات في حرب كانت بينهم وبين باهلة"⁹¹.

(2) الخنساء

سبق التعريف بها في القسم الأول⁹². قالت:

وداهية من دواهي المنو .: ن يرهبها الناس لا فالها

ذكره سيبويه في "باب ما جرى من الأسماء مجرى المصادر التي يُدعى بها"⁹³. ومما جاء في هذا الباب قول سيبويه: "وذلك قولك: ترباً وجندلاً، وما أشبه هذا... ومن ذلك قول العرب: فاها لفيك، وإنما تريد فا الداهية، كأنه قال: ترباً لفيك، فصار بدلاً من اللفظ بالفعل، وأضمر له كما أضمر للترب والجندل، فصار بدلاً من اللفظ بقوله: دهاك الله... ويدلك على أنه يريد به الداهية قوله - وهو عامر بن الأحوص:

وداهية من دواهي المنو .: ن ترهبها الناس لا فالها

فجعل للداهية فماً، حدثنا بذلك من يوثق به"⁹⁴. وفي التحقيق أن الشنتمري نسبته للخنساء⁹⁵. وأوضح ابن يعيش أصل هذا التعبير فقال: "(فاها) منصوب بمنزلة (ترباً) و(جندلاً)، كأنك قلت: (ترباً لفيك)، وإنما يخصون الفم بذلك لأن أكثر التالف فيما يأكله الإنسان ويشربه، و صار (فاها) بدلاً من اللفظ بقولك: (دهاك الله)،

⁸⁸ ينظر: خزانة الأدب 399/11.

⁸⁹ المقتضب 14/3 هـ 2.

⁹⁰ 311/2 في أول تخريجه للشاهد 318.

⁹¹ شرح أبيات سيبويه (بتحقيق سلطاني) 262/2.

⁹² ينظر ص 6 من هذا البحث.

⁹³ الكتاب 314/1.

⁹⁴ السابق 316-314/1.

⁹⁵ السابق نفسه هـ 2، وينظر: كتاب سيبويه مع تحصيل عين الذهب 187/1، وقد وجدته في ديوانها بتحقيق سويلم ص 95، ولم أجده فيه بتحقيق طمّاس.

وإنما قلنا (بدلاً من هذا اللفظ تقريباً) لأنه (فم الداهية) في التقدير، فقدّر الفعل المتصرف من الداهية، وليس القصد إلا تقدير فعل ناصب ليس شيئاً معيناً لا يتجاوز، وإنما يقصد ما يلائم المعنى ويقارب اللفظ⁹⁶. وهذا يوافق معاجم اللغة التي ذكرت أن المراد به الدعاء، فقد جاء في (اللسان): "وقيل معناه (الخبية لك)، وأصله أنه يريد: (جعل الله بفيك الأرض)، كما يقال: (بفيك الحجر)"⁹⁷. وشرح البغدادي قول سيبويه بجعل فم للداهية فقال: "ومعنى (لا فالها): لا مدخل إلى معاناتها والتداوي منها، أي: هي داهية مشكلة"⁹⁸.

(3) السيدة سودة -رضي الله عنها-

هي أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة، إحدى أزواج رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهن أجمعين-، فيها نزلت آية الحجاب، وروت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمسة أحاديث، هي آخر أمهات المؤمنين وفاة، فقد توفيت سنة 54هـ بالمدينة المنورة⁹⁹. بيتها في الكتاب هو:

فحالف فلا والله تهبط تلعة .: من الأرض إلا أنت للذل عارف

ذكره سيبويه في باب "الأفعال في القَسَم"¹⁰⁰. قال سيبويه: "اعلم أن القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعل غير منفي لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: والله لأعلن... وإذا حلفت على فعل منفي لم تغيره عن حاله التي كان عليها قبل أن تحلف، وذلك قولك: والله لا أفعل، وقد يجوز لك -وهو من كلام العرب- أن تحذف (لا) وأنت تريد معناها، وذلك قولك: والله أفعل ذلك أبداً، تريد: والله لا أفعل ذلك أبداً، وقال: فحالف..."¹⁰¹ والشاهد فيه حذف (لا) من جواب اليمين، وهي مرادة؛ والتقدير: فلا والله لا تهبط؛ لأن الفعل منفي، بدلالة خلوه من اللام والنون الواجبتين مع الفعل المثبت، "فترك اللام والنون مُشعر بأن الفعل منفي"¹⁰². وجعل بعضهم دليلاً على حذف (لا) من الفعل تكرار العرب لها في مثل هذا الأسلوب فقال: "وقد تكرر (لا) هذه قبل القسم

⁹⁶ شرح المفصل 122/1.

⁹⁷ لسان العرب (فوه).

⁹⁸ خزانة الأدب 117/2.

⁹⁹ ينظر: أعلام النساء 267/2، الأعلام 214/3، السيرة النبوية 175/4.

¹⁰⁰ الكتاب 104/3، وفي هـ: "البيت من الخمسين، وانظر دلائل الإعجاز 15، وفيه أن سودة أم المؤمنين أنشدت هذا الشعر"، وينظر: دلائل الإعجاز ص 15، فهو كما قال.

¹⁰¹ السابق نفسه، وينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي 133/2.

¹⁰² شرح المفصل 118/1.

توطئة للجواب كقولك: (لا والله لا يقوم زيد)، قال الشاعر: فحالف... و(لا) محذوفة من الجواب، أي: لا تهبط¹⁰³. قلت: لا ضرر في الجمع بين هذين الدليلين، إذ لا تعارض بينهما، بل يقوّي أحدهما الآخر.

4) فاخنة

هي فاخنة بنت عدي، شاعرة من شواعر العرب في أواخر القرن السادس للميلاد، رثت عدياً أحد ملوك غسان، قتله عمرو وعمير ابنا حذار¹⁰⁴. لها في (الكتاب) بيتان هما:

لعمرك ما خشيتُ على عديٍّ * سيوف بني مقيدة الحمارِ

ولكني خشيتُ على عديٍّ * رماح الجن أو إياك حارِ

ذكرهما سيبويه في باب "استعمالهم (أيًا) إذا لم تقع مواقع الحروف التي ذكرنا"¹⁰⁵، وقال فيه: "فمن ذلك قولهم: إياك رأيت وإياك أعني، فإنما استعملت (إياك) ها هنا من قبيل أنك لا تقدر على الكاف... وقال الآخر: لعمرك... لأنه لم يقدر على الكاف"¹⁰⁶. واستدل به على استعمال الضمير المنفصل (إياك) في موضع الضمير المتصل (الكاف)؛ وذلك لإقامة وزن البيت في الظاهر، وفيه معنى بلاغي أزعم أنه هو السبب الحقيقي لهذا الفصل، أعني الحصر والقصر، وهو ما أفهمه من قول سيبويه: "لأنه لم يقدر على الكاف"، والأصل: (خشيتك)، وأمثله - كذلك - تبين مراده؛ فإن قول القائل: (إياك رأيت) و(إياك أعني) غير قوله: (رأيتك) و(أعنيك)، فالفرق بينهما ظاهر جلي¹⁰⁷.

وأم عمرو وعمير اللذين قتلا عدياً هي المرادة بقولها (مقيدة الحمار)، واسمها تماضر، فقولها: (بني مقيدة الحمار) "هو لقب، أي أن أمكم كانت تقيد الحمار، أي: كانت ترعى الحمر"¹⁰⁸، وهذا أحد تفسيري، والآخر أنها الحرّة من الأرض؛ "لأنها تعقل الحمار فكأنها قيد له"¹⁰⁹. ورأيت البيتين في ثلاثة مواضع من

¹⁰³ رصف المباني 258.

¹⁰⁴ ينظر: أعلام النساء 17-16/4.

¹⁰⁵ الكتاب 356/2.

¹⁰⁶ السابق نفسه.

¹⁰⁷ ينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي (بتحقيق الرّيح) 140/2، (بتحقيق سلطاني) 197/2-

198، وللنحاس 151-152.

¹⁰⁸ شرح أبيات سيبويه للنحاس 152.

¹⁰⁹ ينظر الكتاب 357/2 هـ1.

(اللسان): في (حمر) حيث قال: "ومقيدة الحمار: الحرة؛ لأن الحمار الوحشي يُعتقل فيها، فكأنه مقيدٌ، وبنو مقيدة الحمار: العقارب؛ لأن أكثر ما تكون في الحرة"، ثم ذكر البيتين نقلاً عن ثعلب¹¹⁰، وفي (رمح) إذ ذكر أن رماح الجن هي الطاعون، ثم ذكر البيتين نقلاً عن ثعلب -أيضاً-¹¹¹، وفي (قيد) ذكرهما مسبوقين بـ"قال"¹¹²، ورأيتهما في (مجالس ثعلب)¹¹³، وفي (أكام المرجان) منسوبين إلى الأزدي¹¹⁴، وفي (ثمار القلوب) منسوبين إلى امرأة "قتل ابنها غير أكفائه"، ثم عقب عليهما المؤلف بقوله: "كأنها قالت: إنما كنت أحشى على ابني طواعين الشام والحارث بن مالك الغساني، فأما من يرتبط الحمير ولا يرتبط الخيل فلم أكن أخشاه"¹¹⁵، وفي موضعين من (الحيوان) غير منسوبين في أولهما¹¹⁶، ومنسوبين في الآخر إلى الأسدي¹¹⁷.

(5) ميسون

هي ميسون بنت حميد بن بحدل الكلبية، أم يزيد بن معاوية، شاعرة بدوية¹¹⁸، وبيتها في (الكتاب) هو:

للبس عباءة وتقرّ عيني * أحبُّ إليّ من لبس الشفوفِ

ذكر سيبويه هذا البيت تحت عنوان "هذا باب الواو"، وهو عنوان قصير على غير عاداته في إطالة العناوين، وقال فيه: "اعلم أن الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء"، ومثّل للنصب بهذا البيت فقال: "ومن النصب -أيضاً- قوله: للبس عباءة وتقرّ عيني..."، ثم أوضح وجه الاستدلال به فذكر أنه نصب الفعل المضارع (تقر) (برأ) مضمرة بعد واو المعية التي قبلها، وأن السبب هو مجيء هذا الفعل بعد اسم صريح خالص الاسم، قال سيبويه: "لمّا لم يستقم أن تحمل (وتقر) -وهو فعل- على (لبس) -وهو اسم لمّا ضمته إلى

¹¹⁰ ينظر: لسان العرب (حمر).

¹¹¹ ينظر: السابق (رمح).

¹¹² ينظر: السابق (قيد).

¹¹³ ينظر: القسم الأول 574/2، وفي الهامش 1: "يُروى لفاخته بنت عدي، وأراها الرواية الصحيحة".

¹¹⁴ ينظر: 168-169.

¹¹⁵ ينظر: 68.

¹¹⁶ ينظر: 351/1.

¹¹⁷ ينظر: 218/6-219.

¹¹⁸ ينظر: أعلام النساء 136/5، الأعلام 298/8، جمهرة النسب 50، كتاب النسب 365، خزنة الأدب 505/8.

الاسم، وجعلت (أحبّ) لهما ولم ترد قطعه- لم يكن بد من إضمار (أنّ)¹¹⁹. وكشف ابن جني السر في تقدير (أنّ) وهو الحصول على معنى المصدر فذكر أن "الفعل إذا تقدمه اسم ولم يسغ عطفه عليه اضطر معه إلى إضمار "أنّ" ليفيدا معاً معنى المصدر، فيعطف المصدر الذي هو اسم على الاسم الذي قبله"، ثم أتى بالبيت وقال: "فكانها قالت: لأنّ ألبس عباءة وأن تقر عيني أحب إليّ من كذا"¹²⁰. وهذا يعني أن (تقرّ) "منصوب بـ(أنّ) مضمره جوازاً، وهي والفعل في تأويل مصدر مرفوع بالعطف على (لبس)، والتقدير: ولبس عباءة وقرّة عيني، (ولبس) بالواو العاطفة على قولها قبله: لبيت..."¹²¹. وصرّح ابن يعيش بجواز إظهار (أنّ) في مثل هذه الحالة، وأنه لم يمنع إظهارها هنا سوى إقامة الوزن فقال: "فلو كان الأول مصدراً صريحاً لجاز لك أن تظهر (أنّ) في الثاني نحو قوله: للبس...، ولو قال: (وأن تقر عيني) لجاز؛ لأنّ الأول مصدر... فلما كان المعنى يعود إلى ضم (تقر عيني) إلى (لبس عباءة) اضطر إلى إضمار (أنّ) والنصب"¹²². وأكد هذا المعنى صاحب (المقاصد)، فإن الفعل "إذا عطف على اسم خالص فإن ذلك الفعل ينتصب بـ(أنّ) ثابتة غير محذوفة، أو محذوفة غير ثابتة"، ثم استدل بهذا البيت فقال: "وأشدد سيبويه قول الشاعر وهو لميسون بنت بحدل الكلبيّة: للبس عباءة وتقرّ عيني..."¹²³. وهذا البيت من عدة أبيات قالتها ميسون بعد أن نقلها زوجها معاوية "من البدو إلى دمشق، وأسكنها قصرًا من قصور الخلافة، فكانت تكثر الحنين والتذكير لمسقط رأسها"¹²⁴.

(6) هند

هي هند بنت عتبة بن ربيعة، والدة معاوية بن أبي سفيان، أسلمت بعد إسلام زوجها يوم فتح مكة، شاركت في بيعة النساء، كانت فصيحة بليغة شاعرة، توفيت سنة 14 هـ في خلافة عمر -رضي الله عنهم-، من كلامها: المرأة غل لا بد للعنق منه، فانظر من تضعه في عنقك¹²⁵. بيتها في (الكتاب) هو:

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة * وفي الحرب أشباه النساء العوارك

¹¹⁹ الكتاب 41/3-46، وينظر: خزنة الأدب 503/8-504، 574.

¹²⁰ سر صناعة الإعراب 273/1.

¹²¹ شرح التصريح 389/2، وينظر: شرح شواهد المغني 653/2-654.

¹²² شرح المفصل 25/7، وينظر: المقاصد الشافية 166-165/5 هـ-7.

¹²³ المقاصد الشافية 87/6.

¹²⁴ أعلام النساء 136/5.

¹²⁵ ينظر: أسد الغابة 562/5، أعلام النساء 239/5، الأعلام 105/9، خزنة الأدب 264/3.

ذكره سيبويه في باب "ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل، وذلك قولك: أتميمياً مرة وقيسياً أخرى؟ وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلونٍ وتنقلٍ، فقلت: أتميمياً مرة وقيسياً أخرى؟ كأنك قلت: أتحوّلُ تميمياً مرة وقيسياً أخرى؟ فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلونٍ وتنقلٍ، وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنه وبّخه بذلك... ومثل ذلك قول الشاعر: أفي السلم... أي: تتقلون وتلونون مرة كذا ومرة كذا"¹²⁶. فالشاهد فيه "نصب (أعياراً) بإضمار فعلٍ وُضِعَتْ هي موضعه بدلاً من اللفظ به"¹²⁷، ومثل هذا نجده عند السيرافي وابن عصفور¹²⁸. وفي (المقاصد) بيان لهذه الحالة "الواقعة بدلاً من اللفظ بالفعل في التوبيخ، كان مع استفهام -وهو الأكثر- أو بدونه"، وأن ذلك يقال "لمن هو في حال تلونٍ وتنقلٍ"، وشرّحه بقوله: "أي: أتلومونه وتتقلون مرة كذا ومرة كذا فتتحولون في السلم مثل الأعيار -وهي الحمير- جفاءً وغلظةً، وفي الحرب أشباه النساء الحيض جبناً وضعفاً"¹²⁹.

وتقول معاجم اللغة: "ونساء عوارك أي حِيض... أفي السلم...¹³⁰، شبّههم بها في الجفاء والغلظة"¹³¹، إنما أراد أن يرينا البديل من اللفظ به بالفعل فصاغ فعلاً ليس من كلام العرب، ونظير ذلك قوله في الأعيار من قول شاعر: أفي السلم... أتعيرون"¹³². وأوضح ذلك صاحب (المقتضب) فقال: "هذا باب المصادر التي تشركها أسماء الفاعلين ولا تكون واقعة هذا الموقع إلا ومعها دليل من مشاهدة، فهي منصوبة على ذلك خبراً جاء أو استفهاماً... واعلم أن الأسماء التي لم تؤخذ من الأفعال تجري هذا المجرى، وذلك أن ترى الرجل في حال تلونٍ وتنقلٍ فتقول: أتميمياً مرة وقيسياً أخرى؟، تريد: أتتحول وتتلون؟ وأغناه عن ذكر الفعل ما شاهد من الحال. وكذلك إن لم تستفهم قلت: تميمياً مرة -علم الله- وقيسياً أخرى، ومن ذلك قول الشاعر: أفي السلم..."¹³³. وكلمتا (أعياراً) و(أشباه النساء) منصوبتان على الحال عند السيرافي، وعلى المصدر عند سيبويه¹³⁴.

¹²⁶ الكتاب 344-343/1.

¹²⁷ الكتاب 344/1 هـ.

¹²⁸ ينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي 345-346/1، والمقرب 250-258/1.

¹²⁹ المقاصد الشافية 523-522/3.

¹³⁰ ينظر: لسان العرب وتاج العروس (عرك).

¹³¹ لسان العرب (عير).

¹³² السابق (عور).

¹³³ المقتضب 265-264/3.

¹³⁴ ينظر: خزنة الأدب 263/3.

الخاتمة:

لم أُرِد في هذا البحث الخوض في قضية مَنْ نسب الأبيات إلى قائلها في كتاب سيبويه، وهل ما بات يُعرَف بـ(الأبيات الخمسون) حقيقة أو أسطورة، وإنما أردت التعامل مع (الكتاب) كما هو الآن، وخصصت البحث لدراسة أبيات المرأة العربية فيه، باعتباره أقدم كتاب متكامل موثوق به في النحو، فوجدتها منسوبة في متن (الكتاب) في مواضع، وفي هوامشه في مواضع أخرى؛ ولذلك جعلت هذا البحث قسمين، و كان إسهامها في بناء علم النحو متمثلاً في أبياتها التي بلغت ثلاثة عشر شاهداً من جملة أبيات (الكتاب) البالغة ألفاً وخمسين بيتاً، أي بنسبة 1.2%، وهي نسبة متواضعة جداً - كما هو ظاهر -.

ولكنّ لديّ أمل وإحساس قويان بأن الأمر لا يقف عند هذا الحد؛ فلعل كتب النحو المتأخرة عن كتاب سيبويه احتوت على ما لم يذكره سيبويه؛ لذلك عازمت على توسيع مساحة البحث في عمل آخر - إن شاء الله-، أبحث فيه عن مشاركة المرأة العربية في علوم اللغة كلها، من نحو وأدب ودلالة وبلاغة بفروعها الثلاثة البيان والبديع والمعاني إلخ، ودون التقييد بكتاب ما، ويغلب على ظني أن الثمرة ستكون أفضل مما سبق ذكره، والله ولي التوفيق.



المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، 1953م. (د. ط.).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، المكتبة الإسلامية (د. ط. ت.).
- الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر. (د. ط. ت.).
- الأعلام، للزركلي، ط3. (د. ت.).
- أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1397هـ/1977م.
- أكام المرجان في أحكام الجان، للشبلي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة. (د. ط. ت.).
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1428هـ/2007م. (د. ط.).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. (د. ط. ت.).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي. (د. ط. ت.).
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1384هـ/1965م. (د. ط.).
- جمهرة النسب، للكلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ/1986م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط2، 1384هـ/1965م.
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1409هـ/1989م.
- ديوان الخرنق برواية أبي عمرو بن العلاء:

- شرحه وحققه وعلق عليه يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
- تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م.
- ديوان الخنساء:
- اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ/2004م.
- شرحه: ثعلب، حققه د. أنور أبو سويلم، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1409هـ/1988م.
- ديوان ليلى الأخيلىة، تحقيق وشرح د. واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1424هـ/2003م.
- رصف المياني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق. (د. ط. ت.).
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق د. حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1405هـ/1985م.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، للبكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1354هـ/1936م.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.
- شرح أبيات سيبويه، لابن السيرافي:
- تحقيق د. محمد الریح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.
- تحقيق د. محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، ط1، 1422هـ/2001م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م. (د. ط.).
- شرح التصريح على التوضيح، للأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح المرزوقي:
- نشره أحمد أمين و عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
- علق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

- شرح الشنتمري، تحقيق د. علي المفضل حمردان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.
- شرح المعري، دراسة وتحقيق حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.
- شرح شواهد المغني، للسيوطي، ذيل بتصحيحات الشنقيطي، تحقيق أحمد ظافر كوجان، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1386هـ/1966م. (د. ط.).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2. (د. ت.).
- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المثنى، القاهرة، 1377هـ/1958م. (د. ط.).
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة:
- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1377هـ/1958م.
- قدم له حسن تميم، دار إحياء العلوم، دمشق، ط3، 1407هـ/1987م.
- الكتاب، لسيبويه:
- تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1966م.
- معه تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب، للشنتمري، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ط3، 1410هـ/1990م.
- كتاب الأزهية في علم الحروف، للهروي، تحقيق عبد المجيد الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1401هـ/1981م.
- كتاب شرح أبيات سيبويه، للنحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م.
- كتاب النسب، لابن سلام، تحقيق مريم محمد خير الدرع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/1989م.
- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة. (د. ط. ت.).
- المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، لابن جني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.
- مجالس ثعلب، لثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1948م.
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، 1420هـ/1999م. (د. ط.).

- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.
- معجم شعراء الحماسة، للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/1982م. (د. ط.).
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ/2007م.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ط3. (د. ت.).
- المقرب، لابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط1، 1392هـ/1972م.
- المنصف، شرح ابن جني على كتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف، ط1، 1373هـ/1954م.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

